

النفسير المطول - سورة النساء 004 - الدرس(69-54): تفسير الآيات 121-122 ، حكمة الله المطلقة

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 28-03-2003

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، اللهم علمنا بما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يستمعون القول فيتبعون أحسنها، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

جهنم هي جزاء ومصير أبي ل لهذا الذي والى الشيطان في الدنيا :

أيها الأخوة الكرام؛ مع الدرس الرابع والخمسين من دروس سورة النساء ومع الآية الواحدة والعشرين بعد المئة، وهي قوله تعالى:

(أُولَئِكَ مَا وَاهْمَ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً)

بعد أن قال الله عز وجل متحدثاً عن إبليس حينما قال:

(لَتَخِدُنَّ مِنْ عِبَادِكَ تُصِيبَاً مَفْرُوضاً وَلَا ضِلَالَ لَهُمْ وَلَا مُنَيَّهُمْ فَلَيَبْتَكِنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مُرْتَهِمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذُ الشَّيْطَانَ وَلِيَّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقُدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا يَعْدُهُمْ وَيَمْنَيْهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا)

سراباً بسراب، أولئك الذين اتبعوا الشيطان وأفتنوا بوساوسيه:

(أُولَئِكَ مَا وَاهْمَ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً)

كانت جزاء ومصيرأ، أحياناً الإنسان يجازى لكن لا يبقى في الجزاء دفع غرامه، يسجن شهر شهرين، سنة سنتين ثم يخرج، أما جهنم هي جزاء ومصير أبي، لهذا الذي والى الشيطان في الدنيا.

النصر الواقعي والنصر المبدني :

قال تعالى:

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللَّهِ قِيلًا)

أيها الأخوة، يجب أن نوْقَنْ أن هُوَلَاءِ الْبَشَرِ عَلَى اخْتِلَافِ مَلَّاهُمْ وَنَحْلَاهُمْ وَأَدِيَانِهِمْ وَأَجَنَاسِهِمْ وَأَعْرَاقِهِمْ وَمَذَاهِبِهِمْ هُمْ فِي النَّهَايَةِ إِمَّا إِلَى جَنَّةِ يَدُومُ نَعِيمَهَا أَوْ نَارَ لَا يَنْفَذُ عَذَابَهَا، كَانُوا فِي الدُّنْيَا إِمَّا أَنْ يَعْرِفُ الْإِنْسَانُ رَبَّهُ وَيَنْضَبِطُ بِمَنْهُجِهِ وَيَحْسَنُ لِخَلْقِهِ فَيُسَعِّدُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَغْفَلُ عَنِ اللَّهِ وَيَتَفَلَّتُ مِنْ مَهْجِ اللَّهِ وَيَسِيءَ لِخَلْقِهِ، فَيُشَقِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

القضية واضحة وضوح الشمس، المؤمن غر كريم والكافر غب لئيم، المؤمن بين أن يستقيم ويحسن فيسعد في الدنيا والآخرة، والكافر يتفلت ويسيء فيشقى في الدنيا والآخرة، فالبطولة من يضحك آخرًا.

(فَإِلَيْهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ)

[سورة المطففين: 34]

هذا ينقلنا الآن ما يسمى بالنصر الوعي والنصر المبدئي، إنسان مسلم يوجد ظروف معقدة جداً ما سمحت له أن ينتصر لكنه مؤمن وعقيدته سليمة وملتزم ومطبق لكلام الله وسنة رسول الله يسعى في فعل الخيرات ما استطاع، هذا إنسان لو لم ينتصر على أرض المعركة هذا انتصر مبدأه ومات مؤمناً فاستحق الجنة، إنسان آخر حق نصراً مؤزراً واحتل مساحات شاسعة، وكانت كلماته هي الغالبة، لكن لم يكن مطيناً الله فهو المنهزم عند الله.

الأمر بيد الله وحده :

أرأيتم إلى أصحاب الأخدود بمقاييس الأرض لم ينتصروا، بل إن ملكهم أحرقهم والله سبحانه وتعالى أثى عليهم، قد يأتي على المسلمين وقت صعب جداً جداً، القوة ليست بيده وهذا امتحان صعب، فالقوة ليست بيده بل بيد أعدائه.

بل إن النبي عليه الصلاة والسلام حينما التقى بعدي بن حاتم قال له كلمات سبحان الله تتطبق علينا جميعاً، قال له: يا عدي لعله إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم، من فقرهم، فو الله ليوش肯 المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، وبيا عدي لعله ما يمنعك من دخول في هذا الدين أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم - القوة ليست بيد المسلمين بل بيد الكافرين - وأليم الله ليوش肯 أن تسمع بالقصور البابلية مفتحة لهم، وبيا عدي لعله ما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من كثرة عدوهم، والله ليوش肯 أن تسمع بالمرأة البابلية تحج البيت على بغيرها لا تخاف، وعاش عدي ورأى كل هذه البشائر التي بشر بها النبي عليه الصلاة والسلام.

المشكلة الآن لا أستطيع أن أسلخ من الأحداث التي تجري حولك أن الله موجود، وأنه في السماء إليه وفي الأرض إليه، وأن الأمر والنصر والقوة بيده، وأن المصير إليه، وأنه هو الذي ينصر، وهو الذي لا ينصر إلا لحكمة بالغة جداً، مadam الأمر بيد الله.

(مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٌّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدٌ)

[سورة الكهف: 26]

((عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ يَا عَلَامُ إِنِّي أَعْلَمُ كَلِمَاتٍ أَحْفَظُ اللَّهُ يَحْفَظُكَ، أَحْفَظُ اللَّهُ تَجْدُهُ شَجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعْنُ بِاللَّهِ، وَاعْلَمُ أَنَّ الْأَمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَتَفَوَّعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَتَفَوَّعْكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضْرُرُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضْرُرُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعْتِ الْأَقْلَامُ وَجَقَّتِ الصُّحْفُ))

[سنن الترمذى عن ابن عباس]

الله عز وجل وضع بين أيدينا قصصاً في القرآن عن معانى التوحيد :

نحن الآن أيها الأخوة، في أمس الحاجة إلى معانى التوحيد، وإلى أن نخاف من الله لا من الطغاة.

(الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَلَا خُشُونُهُمْ فَزَادُهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعَمْ الْوَكِيلُ^{*}فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلِ لَمْ يَمْسِسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ *إِنَّمَا دُلُّكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أُولَئِكَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)

[سورة آل عمران: 173-175]

هذا فيصل إما أن تخاف من الواحد الديان خالق الأكون، وإما أن تخاف من طاغية جبار. أيها الأخوة، الله عز وجل وضع بين أيدينا قصص في القرآن أصحاب موسى شرذمة قليلون، هائمون على وجوههم، من عدوهم؟ فرعون! وما أدر أكم ما فرعون بطغيانه وأسلحته، بجنوده، بحقده، بظلمه، ببطشه، وبغطرسته، بحسب مقاييس الأرض فرعون وراء شرذمة قليلون، يوجد فرق كبير جداً كما هو الآن تماماً ولعله أشد، وإذا بأصحاب موسى يصلون إلى البحر، فرعون من ورائهم والبحر من أمامهم، والله بحسب القوانين والمعطيات ليس أمامهم إلا القتل واحداً واحداً، فالقرآن يقول:

(قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينَ)

[سورة الشعراء: 61-62]

الله عز وجل أوحى لموسى أن اضرب بعصاك البحر فإذا هو طريق مشوا فيه، اتبعهم فرعون، فلما خرجوا من البحر دخل هو في البحر وعاد الطريق الييس ماء كما كان فأغرق فرعون! هذه القصة لمن؟ هذا الذي يقول لك: يستحيل أن تنهزم هذه القوة الطاغية، هذه القصة لمن؟ هذه قصة في القرآن الكريم.

الدعاء سلاح المؤمن :

قصة أخرى: إنسان وجد نفسه فجأة في بطن حوت، احتمال النجاة كم؟ صفر، لا أمل، لقمة صغيرة في فم حوت وزنه مئة وخمسون طناً، وجنته الخفيفة شطيرة أربعة طن، الإنسان كله مئة كيلو! وجد نفسه في بطن حوت في ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت! فالله عز وجل قال:

(فَنَادَى فِي الظُّلَمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَيَّنَاهُ مِنَ الْعَمَّ وَكَذِلِكَ تُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ)

[سورة الأنبياء: 87-88]

القصة انتهت وانقلب لقانون، وقال الله عز وجل:

(وَكَذِلِكَ تُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ)

[سورة الأنبياء: 88]

هذه القصة في القرآن، لا يمكن أن تكون مشكلة مشكلة سيدنا يونس وانحلت بدعا، والآن والله الذي لا إله إلا هو ما نملك إلا توبة نصوح ودعا لحوض، لأن الله يحب الملحين في الدعا، تسمعون الله عز وجل أرسل رسائل ببعث لنا رسالة العاصفة الرملية، أليست هذه عاصفة عطلت إلياتهم وعطلت القصف، بعث رسالة ثانية رصاصة صغيرة من بندقية قديمة تنزل طائرة بخمس ملايين دولار! أحدث طائرة هليكووتر في العالم، ما هذه الرصاصة؟ هذه رسائل!! قصص كثيرة، الله ألقى في قلوبهم الرعب مع أنهم أقوى دولة في العالم، الدعاء سلاح المؤمن، ودعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب لا ترد، ادع لأخوانكم في العراق أن ينصرهم الله عز وجل.

إذا سألنا الله النصر نسأله نصراً تفضلياً ولا نجرؤ أن نسأله نصراً استحقاقياً :

أيها الأخوة، هذه القصص بين أيدينا، النبي عليه الصلاة والسلام سيد الخلق وحبيب الحق ومعه نخبة البشر، إن الله اختارني واختار لي أصحابي.

لم ينتصر في أحد لماذا؟ لأن أصحابه عصوا أمراً لا تشريعيًا بل عصوا أمراً تنظيمياً، أنت معك أمر بعدم شرب الخمر هذا تشريعي، عندك أمر بأداء الصلوات هذا تشريعي، أمر بالصدق أمر تشريعي، ويوجد لوحة لا تقترب من هذا المكيف، لا تستند عليه، هذا ما اسمه؟ أمر تنظيمي، أصحابه عصوا في أحد أمراً تنظيمياً فلم ينتصروا، لو انتصروا لسقطت طاعة رسول الله، أبسط مثل: لو أعطيت الطالب وظيفة وفي اليوم التالي لم تشاهدها فكان سواء الذي كتبها والذي لم يكتب، لا أحد يكتب بعد ذلك! لو أن الله نصرهم على معصيتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم لسقطت طاعة رسول الله، في حين

لم يعصوا ولكن أشركوا قالوا: لَنْ نُغْلِبْ مِنْ قَلْةٍ، هَذَا شَرُّكُ خَفِيٌّ، وَفِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ وَأَصْحَابُ النَّبِيِّ فَلَمْ يَنْتَصِرُوا، لَوْ أَنَّهُمْ انتَصَرُوا لَسَقْطُ التَّوْحِيدِ، فَإِذَا كَانَ سَيِّدُ الْخَلْقِ وَحَبِيبُ الْحَقِّ وَمَعْهُ نَخْبَةُ الْخَلْقِ لَمْ يَنْتَصِرُوا فِي أَحَدٍ لِسَبَبِ سُلُوكِيِّ، وَلَمْ يَنْتَصِرُوا فِي حَنِينٍ لِسَبَبِ تَوْحِيدِيِّ فَانْهَزَمُوا، فَإِذَا كَانَ الْمُسْلِمِينَ عِنْهُمْ أَلْفُ مَعْصِيَةٍ سُلُوكِيَّةٍ وَأَلْفُ شَبَهَةٍ تَوْحِيدِيَّةٍ، أَتَى لَهُمْ أَنْ يَنْتَصِرُوا؟؟

نَحْنُ إِذَا سَأَلْنَا اللَّهَ النَّصْرَ نَسْأَلُهُ نَصْرًا تَفْضِيلًا وَلَا نَجْرُؤُ أَنْ نَسْأَلُهُ نَصْرًا اسْتِحْفَافِيًّا.

فِيَا أَيُّهَا الْأَخْوَةِ، الْآنَ نَحْنُ فِي مَحْنَةٍ عَظِيمَةٍ وَقَدْ أَقُولُ كَلَامًا وَاللَّهُ أَعْنِي مَا أَقُولُ: حِينَما يَنْتَصِرُ هُؤُلَاءِ الطُّغْيَا لَا يُسَمِّحُ لِأَوْلَادِكُمْ أَنْ يَقْرُؤُوا كُلَّ الْقُرْآنِ! أَبْدَأْ كُلَّ آيَاتِ الْجَهَادِ مَمْنُوعًّا أَنْ تَتَلَقَّ لَا فِي الإِذَاْعَةِ وَلَا فِي الْمَدَارِسِ وَلَا فِي الْكُتُبِ، وَاللَّهُ وَقَدْ وَقَعَ هَذَا، يَجِبُ أَنْ تَوَزَّعَ الْخُطُبَةُ عَلَى الْخُطُبَاءِ مِنَ السَّفَارَةِ لَوْ أَنَّهُمْ يَنْتَصِرُوا، الْقَضِيَّةُ لَيْسَ اِنْتَصَارًا عَسْكَرِيًّا بَلْ اِنْتَصَارًا ثَقَافِيًّا، لِذَكْرِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ نَحْنُ فِي أَمْسِ الْحَاجَةِ أَنْ نَسْأَلَ اللَّهَ أَنْ يَنْصُرَهُمْ.

نُورُ الدِّينِ الشَّهِيدُ وَهُوَ يَوْمَهُ التَّنَاهُ سَجَدَ وَقَالَ: يَا رَبَّنَا هُوَ الْكَلْبُ نُورُ الدِّينِ حَتَّى تَنْتَصِرَهُ؟ اِنْصُرْ دِينَكَ، الْآنَ الدِّينُ فِي مَحْنَةٍ، وَالْحَرْبُ حَرْبُ إِبَادَةِ الْمُسْلِمِينَ، أَلْقُوا الْبَيْرَانِيُومُ الْمُخْضَبَ وَهَذَا تَبَقَّى آثَارُهُ سَتَةِ مِلِيَّارَاتِ سَنَةٍ، فَالْقَضِيَّةُ خَطِيرَةٌ جَدًّا، نَحْنُ يَجِبُ أَنْ نَوْحِدَ صَفَوْفَنَا وَنَلْغِي خَلَافَاتَنَا وَنَتَعَاوَنَ وَيَضْحِيَ بَعْضُنَا مِنْ أَجْلِ بَعْضٍ، وَيَحْبُّ بَعْضُنَا بَعْضًا، وَنَقْيِمُ أَمْرَ اللَّهِ فِي بَيْوَنَنَا، وَنَلْغِي كُلَّ مُخَالَفَةٍ فِي حَيَاتِنَا، فِي أَعْمَالِنَا وَكَسْبِ أَمْوَالِنَا.

هَذَا الدِّينُ لَوْ حَذَفْنَا مِنْهُ نَضْعُفُ وَلَوْ زَدْنَا عَلَيْهِ نَتْمَزِقُ :

الشَّيْءُ خَطِيرٌ جَدًّا أَيُّهَا الْأَخْوَةِ: هُؤُلَاءِ سُوفَ يَنْتَقِلُونَ مِنْ بَلْدٍ لِبَلْدٍ، بَدَوِوْا بِالْعَرَاقِ بَلْدَ بَلْدَ، وَالْنَّتَائِجُ خَطِيرَةٌ جَدًّا، أَقُولُ هَذَا مِنْ أَعْمَقِي وَأَنَا مَتَّلِمُ أَلَمَا لَا حَدُودُ لَهُ: لَا بَدَ لَنَا مِنْ أَنْ نَصْحُو مِنْ غَفْلَتِنَا، هَذَا الْإِسْلَامُ الشَّعَائِرِيُّ، لَا نَأْبِهُ بِالْتَّعَامِلَاتِ، لَسْنَا جَادِينَ بِتَطْبِيقِ مَنْهَجِ اللَّهِ الْكَاملِ، أَرْجُو اللَّهَ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْضَّرْبَةُ الْمُؤْلَمَةُ جَدًّا بَاعِثَّ لَنَا عَلَى تَجَدِيدِ إِيمَانِنَا وَتَجَدِيدِ عَهْدَنَا مَعَ اللَّهِ، وَعَنِ إِذَاْبَةِ كُلِّ الْخَلَافَاتِ فِيمَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

أَيُّهَا الْأَخْوَةُ الْكَرَامُ، الْأَمْرُ خَطِيرٌ جَدًّا لِأَنَّهُ قَضِيَّةُ حَيَاةٍ أَوْ مَوْتٍ، دِينٌ أَوْ مَحْقٌ هَذَا الدِّينُ، مَئَاتُ الْمَعَاهِدِ أَغْلَقَتْ فِي بَعْضِ الْبَلَادِ فِي شَرْقِ آسِيَا، مَعَاهِدُ دِينِيَّةٍ، التَّدْخُلُ حَتَّى فِي الْمَنَاهِجِ، فِي الْكُتُبِ وَالْجَوَامِعِ، وَفِي أَدْقِ خَصْوَصِيَّاتِنَا، التَّدْخُلُ فِي قَانُونِ الْأَحْوَالِ الشَّخْصِيَّةِ، الزَّوَاجُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَدْ بَيْنَ شَخْصَيْنِ لَا بَيْنَ ذَكْرٍ وَأَنْثَى، مَقْبُولٌ عِنْهُمْ بَيْنَ أَنْثَى وَأَنْثَى أَوْ ذَكْرٍ وَذَكْرٍ، وَذَكْرٍ وَأَنْثَى، حَتَّى فِي أَشَدِ الْأَمْرِ خَصْوَصِيَّةٍ سُوفَ يَتَدَخَّلُونَ.

كيف تسمعون عن تيمورلنك وهو لا يرى والتار نفس البلاء، لا في قيم ولا مبادئ ولا منطق ولا شيء! ثور هائج مصاب بجنون البقر وقوى جداً ولا يرى بعينيه. فيا أيها الأخوة، أسأل الله لي ولكل التوبة، التوبة النصوح، وأن ندعوا لأخوتنا في العراق جميعاً أن ينصرهم ويحفظهم ويرد كيد الأعداء عنهم.

لو سألت ما السبب؟ يوجد تقصير وفرضية معطلة من أربعينية عام في الإسلام تعطيل كامل! هذا الدين لو حذفنا منه نضعف، ولو زدنا عليه نتمزق، بالبدع نتمزق وبالحذف نضعف، هذا الدين ينبغي أن يبقى كما كان عليه أصحاب رسول الله، بالحذف نضعف، حذفنا فريضة الجهاد، انظر لما آتى إله حال المسلمين لا يستطيعون التكلم بكلمة، تسليب ثرواتهم، كم نظام قمعي بآسيا وأمريكا اللاتينية لم يقتربوا، لكن هنا يوجد نفط، القضية قضية ثروة وقضية سيطرة على النفط واضحة كالشمس، تسليب ثرواتهم، تنتهي أعراضهم في البوسنة والهرسك، تقتل أشجارهم، تهدم بيوتهم، يقتل أطفالهم، تسبى نسائهم، وباسم الإنسانية وإحلال السلام ونقل الحضارة الحية وهذا شيء يزيدنا غيظاً، باسم السلام نصفهم بقنابل عنقودية، والقنابل الماسحة الماحقة، كيلو متر لا تبقي فيه شيئاً، عندهم قنابل والعياذ بالله شيء مخيف باسم الإسلام نصفهم من المتوسط، الآن القنابل تنهال على بعض الأماكن من المتوسط! هناك طائرة (بـ52) هذه صنعت عام (1962) صالحة لعام (2040)، لا يستطيع مطار في الأرض أن يتحملها، تنطلق من بلادها وتطير خمسة وثلاثين ساعة بلا توقف تقصف وتعود، وقنبلتها بالأطنان، يمكن أن تسير ثمانين كيلو متر بالأقمار الصناعية، آتاهم الله قوة ما بعدها قوة.

قصة هلاك عاد الذين تفوقوا في كل شيء :

حينما ذكر الله عاداً ما ذكر قوماً أهلكهم إلا ذكر أنه أهلك من هو أشد منهم قوة! إلا عاد قال:

(أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقُوهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً)

[سورة فصلت: 15]

ما كان فوقهم إلا الله، وعاد الثانية لا يوجد فوقها إلا الله عز وجل تفوقت في شتى الميادين، لم يخلق مثلها في البلاد، غطسة ما بعدها غطسة، من أشد مما قوة؟ تفوق عمراني مذهل.

(أَتَبُّونَ بِكُلِّ رِيعٍ أَيَّةً تَعْبُثُونَ * وَتَتَخَذُونَ مَصَانِعَ لَعْلَمْ تَخْلُدُونَ)

[سورة الشعرا: 128-129]

تفوق صناعي وعسكري:

(وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَارِينَ)

[سورة الشعرا: 130]

تفوق علمي، وكانوا مستبصرين، ماذا فعلوا؟ طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد، طغوا بأسلحتهم وأفسدوا بأفلاطهم.

(فَصَبَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ)

[سورة الفجر: 14-13]

(فَأَهْلَكُوا بِرِيحٍ صَرْصَارٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةً أَيَامٌ حُسُومًا)

[سورة الحاقة: 6-7]

هذه عاد الأولى، والله عز وجل قال: أنه أهلك عاد الأولى، يعني وجود عاد ثانية، هذه الثانية! فالامر واضح في القرآن الكريم.

الله عز وجل لا يقبل أن ننتمي لهذا الدين انتماء شكلياً :

فرعون وما أدرأكم ما فرعون! آتاه الله مالاً وزينة في الحياة الدنيا، سيدنا موسى قال:
(رَبَّنَا لِيُضْلِلُوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ
الْأَلِيمَ)

[سورة يونس: 88]

فنحن في محنـة كبيرة جداً، لا يكفي أن نستمع للأخبار، اعمل شيء لل المسلمين، لا يوجد إنسان إلا يستطيع أن يفعل شيئاً للMuslimين، فهذه الدنيا دار بلاء، وشاءت حكمة الله أن تكون الحرب معركة أزلية أبدية بين الحق والباطل، من آدم ليوم القيمة! والآن صار الباطل واضحـاً جداً وجريئـاً ووـقـحاً ومـكـشـوفـاً لا يوجد أفقـعة، كان يوجد أفقـعة أما الآن لا يوجد! نريد أن نحتـل بلادـك ونـقـل المـدنـيين وـالـآمنـين والأـطـفال وـنـأخذـ الشـروـة وـنـبـقـيكـ مـسـتهـلـكاً فـقطـ، فـلـذـكـ أـقـولـ كـلامـ لـعـهـ قـاسـيـ لكنـ هـذـهـ الحـقـيقـةـ المـرـةـ أـفـضـلـ ألفـ مرـةـ منـ الوـهـمـ المـريـحـ: إذاـ الإـنـسـانـ لمـ يـعـمـلـ ثـورـةـ بـبـيـتـهـ، بـحـيـاتـهـ، بـعـقـيـدـتـهـ، بـسـلـوكـهـ، بـتـرـبـيـةـ أوـلـادـهـ، بـعـلـاقـتـهـ معـ زـوـجـتـهـ، بـكـثـرـةـ مـالـهـ، بـإـنـفـاقـ مـالـهـ، بـعـلـاقـتـهـ معـ الـمـؤـمـنـينـ وـمـعـ الـمـسـجـدـ، إـذـاـ مـاـ بـدـلـ عـلـاقـاتـهـ تـبـدـيـلاًـ جـذـرـياًـ لاـ نـنجـوـ مـنـ عـذـابـ اللهـ، اللهـ عـزـ وـجـلـ لاـ يـقـبـلـ أنـ نـنـتـمـيـ لـهـذـهـ دـيـنـ اـنـتـمـاءـ شـكـلـيـاًـ، وـهـذـهـ الـذـيـ حدـثـ فـيـ الـحـقـيقـةـ فـيـهـ إـيـجـابـيـاتـ لـأـنـهـ وـقـعـ، وـلـاـ يـقـعـ شـيـءـ إـلـاـ إـذـاـ أـرـادـهـ اللهـ أـنـ يـقـعـ، فـمـنـ بـدـيـهـيـاتـ الـعـقـيـدـةـ لاـ يـمـكـنـ أـنـ يـقـعـ شـيـءـ إـلـاـ وـسـمـحـ اللهـ بـهـ، فـمـادـامـ سـمـحـ اللهـ بـهـ فـيـوـجـدـ حـكـمـةـ مـاـ بـعـدـهـ حـكـمـةـ، نـدـرـكـهاـ أـوـ لـاـ نـدـرـكـهاـ، مـاـ هـيـ إـيـجـابـيـاتـ مـنـ الـذـيـ وـقـعـ؟ـ وـالـلـهـ يـوـجـدـ إـيـجـابـيـاتـ كـثـيرـةـ جـداـ لـخـصـتـهاـ فـيـ ثـلـاثـ إـيـجـابـيـاتـ، أـوـلـ إـيـجـابـيـةـ وـأـكـبـرـ إـيـجـابـيـةـ وـأـضـخـمـ إـيـجـابـيـةـ هوـ أـنـ الغـرـبـ سـقطـ، بـقـيـ قـوـةـ غـاشـمـةـ، أـمـاـ كـحـاضـرـةـ تـنـافـسـ الدـيـنـ سـقطـ، كـقـيـمـ أـوـ كـمـصـدـاقـيـةـ، كـحـقـوقـ إـنـسـانـ، كـإـشـاعـةـ السـلـامـ، كـدـيمـقـراـطـيـةـ سـقطـ، كـلـ هـذـهـ الـأـقـعـنةـ سـقطـتـ، رـأـيـتـ كـيـفـ أـنـهـمـ وـحـوشـ، فـأـكـبـرـ نـصـرـ لـلـدـيـنـ أـنـ الـذـيـ كـانـ يـخـطـفـ أـبـصـارـ النـاسـ إـلـيـهـ وـيـنـافـسـ

الدين وجعل الناس يتطلعون لبلادهم ودخول بلادهم والإقامة عندهم، هذا الغرب سقط في الوحل، هذا أكبر نصر!

أربع إيجابيات تبين أنه لا يمكن أن يقع شيء إلا وسمح الله به :

قال تعالى:

(فَمَنْ يَكُفِرُ بِالظَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى)

[سورة البقرة: 256]

أعانونا على أن نكفر بهم، الحمد لله، كان قلة قليلة من المثقفين يعرفون الحقيقة، الآن كل العالم الإسلامي حتى الأطفال يعرفون الحقيقة، هذا نصر كبير لكن لم نعرف قيمته الآن، الآن لم يبق في الساحة إلا الله! كان يوجد فكر شرقي تهافت بكتبه العنكبوت، والآن الفكر الغربي تهافت وبقي بيت كبير قوي، لكن الفكر تهافت وسقط.

فرضاً إنسان يدعى المثالية والخلق ضبط بسرقة أو بزنى عند أبناء حيه انتهى كإنسان محترم انتهى، فهذا أكبر نصر حق الان.

1 - الغرب سقط في الوحل ولم يبق إلا الإسلام :

أول إيجابية أن الغرب سقط سقوط مريع في الوحل الحمد لله، ما بقي إلا الإسلام.

2 - هذه الأحداث قربتنا من بعضنا البعض ووحدتنا :

الإيجابية الثانية: أن هذه الأحداث قربتنا من بعضنا بعضاً، هم واحد، عدو واحد، قلق واحد، كنا متفرقين فاجتمعنا من دون أن يشعروا جمعونا ووحدونا.

3 - كل إنسان كشف على حقيقته :

الإيجابية الثالثة: أن كل إنسان كشف على حقيقته.

(مَا كَانَ اللَّهُ لِيَنْهَا الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَئْتَمُ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَيْثَ مِنَ الطَّيْبِ)

[سورة آل عمران: 179]

4 - لم يبق من حلٍّ كي نستعيد استقلالنا وكرامتنا إلا ببذل أرواحنا :

والإيجابية الرابعة: هذه الفريضة المعطلة قد أحبيت، صار التعليق بهذه الفريضة ببذل النفس سخية في سبيل الله.

صار عندنا أربع إيجابيات إيجابية سقوط الغرب بقيمه وطروحاته، وإيجابية توحدنا، وإيجابية انكشف الأقنعة وسقوطها، والإيجابية الرابعة أنه لم يبق من حل كي نستعيد استقلالنا وكرامتنا إلا ببذل أرواحنا، هذه أربع إيجابيات لم تكن من قبل، وكل شيء وقع أراده الله وكل شيء أراده الله وقع، وإرادته متعلقة بالحكمة المطلقة، وحكمته المطلقة متعلقة بالخير المطلق، فالآيات التي بعد هذه الآية:

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا)

إن عدنا لربنا، واصطلحنا معه، وتبنا إليه، وعملنا الصالحات، نستحق دخول الجنة، وهذا هو النصر الحقيقى، أن يسمح لك بدخول الجنة، والدليل:

(فَمَنْ رُحْزَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقُدْ فَازَ)

[سورة آل عمران: 185]

والحمد لله رب العالمين